

جرىمتا الرجل

﴿ وجريمة المرأة ﴾

فتاة في ربيع حياتها ، تلوح على وجهها امارات الطهر والعفاف ،
أطلت ذات ليلة من نافذة منزلها ، وكانت الطبيعة هادئة ، والناس نياماً
والسكون باسطاً جناحيه تكاد لا تسمع سوى حفيف الاشجار وتغريد
الطيور وخرير المياه ...

نظرت الى ما فوقها فرأت النجوم تدير القبة الزرقاء ، والقمر يتهدى
كالعروس مبدداً جيوش الظلام باسطاً ضوءه على العالم فيزيد الطبيعة
بهاءً وجمالاً ، ثم حانت منها التفاتة الى ما تحتها فرأت منظرًا رائعاً مهيباً
رأت منحدرًا تغطيه أشجار الصنوبر والأعشاب الجبلية ينتهي الى وادٍ
جميل تكسوه المروج الخضراء ...

راقبتها تلك المناظر البديعة التي طالما سمت بالشعراء الى عالم الخيال
وانتمش فؤادها من نسيم الليل العليل ، فغادرت منزلها في سكون الليل
وسحر القمر ، وجعلت تسير بين الكروم بخفة الغزال ، وهي تمتع نظرها
بحاسن الطبيعة وجمالها حتى وصلت الى مكان تظله شجرة فتقدمت
اليها وجلست على غصن من أغصانها لتستسلم الى سرورها وهنائها ...
ما كادت الفتاة تجلس حتى مال بها الغصن فوق هوة عميقة تنتهي
الى ذلك الواد ، فماسكت به وصاحت بأعلى صوتها : أدركوني ! ولكن
ما من مجيب

رأت الهوة الفاعرة فاما تحاول ان تبتلعها ، وفوقها سماء وتحتها فضاء ، فأيقنت بالهلاك .. ظلت معلقة في الفضاء حتى ضعفت قواها ، وكلت يداها ، فهوت الى الحضيض ، قتهشمت اعضاؤها ، وذهبت ضحية غواية الجمال .. كانت سعيدة بحياتها هنيئة بما حولها فماتت أشنع ميتة ، وذهبت طعاماً للوحوش . فواأسفي على شبابها الزائل ، أما العنسن الذي كان سبباً في هلاكها فعاد الى ما كان عليه قبلاً ، وقد يورد غيرها .ورد الهلاك . . .

تلك هي حال المرأة السافطة . تولد الفتاة طاهرة عفيفة ، وتشب ساذجةً وديمةً ، ترى الحياة لذيذةً وتبني لنفسها قصوراً من الآمال ، حتى يمرض عنها رجل تحسبه نجم حياتها وقبلة رجائها ، فتركن اليه وهو يخادعها حتى اذا ما نال بغيته منها تخلى عنها ، فترى هول سقطتها ، فتضيق بها الدنيا على رحبها فتمسك به مستغيثةً بالعدل وما من سميع ، وبناصر الضعفاء وما من مجيب ، الى ان يستولي عليها اليأس فتسقط في وادي الشقاء مستنجدةً بالانسانية فلا تجد الاً ووحوشاً يأتون اليها منتهزين فرصة ضعفها ليسلبوها البقية الباقية من عفافها ، ويمصرون جمالها عصراً ويقضون القضاء الاخير على كل وسيلة لها الى العيش الى ان تصير عالة على الانسانية .. أما الرجل الذي كان سبباً في وقوع هذا البلاء فيتجاوزون عن هفوته ولا يناله شيء من الضرر كأنه لم يأتِ أمراً فرياً ، ويظل راتماً في مجبوحة الصفو والهناء ، وقد يوقع غيرها في شرك خداعه . ولا يتحمل عاقبة تلك الجنايات سوى الفتيات الضعيفات

اني اذا بكيت حزناً على شباب الاولى فاني هنا أصبح نادياً تلك

الانفس التي تفسد يوماً بعد يوم واقول ، ان العالم يفسد شيئاً فشيئاً وسياتي يوم لا نرى فيه للشرف والعفاف اثرًا . وما ذلك إلا لأن الرجل لا يجد رادعاً اذا لا عقوبة تحلُّ به من جرّاء عمله فتراه مندفعاً في سبيل خداع المرأة . الا ان ذلك ظلم وعدوان وتلك حال لا تدعو الى الطمأنينة والأمن . . . انا احترم القانون ولكنني أقول ان ما جاء به من محاللات تلك الجريمة (جريمة افساد الفتيات) كالرضا مثلاً الذي يعتبر مسوغاً لما يقدم عليه الشبان والفتيات . أقول ان هذا الرضا لا يصح الأخذ به فانه محاط بوعود طويلة عريضة من جهة الشاب واعتقاد راسخ من جهة الفتاة بصحة ما يقوله مغويها . ولست أظن هذا الرضا يخرج عن حدود الضعف المسبب عن الحيلة الشريرة . نعم فان تلك الغواية من جهة الشاب حيلة وأكثر من الحيلة للوصول الى غرض مقصود فهي شبيهة من كل الوجوه بجريمة النصب والاحتيال من أجل المال التي جعل لها القانون بين بنوده عقاباً . وأقول ان العرض أئمن قيمة من المال ، فلم لا يفرض القانون عقاباً للمحتال على العرض كما فرضه للمحتال على المال . من ذلك يظهر ان هذا الامر جريمة تستحق العقاب ، والرأي العام يطلب ذلك والقانون الذي لا يسير مع الرأي العام في مستوى واحد ، من جهة ما يعتبر جريمة وما لا يعتبر جريمة ، قانون ناقص أو متجاوز ، وأعيد قانوناً ان يلحق به النقص أو التجاوز .

ولقد يرى البعض اني أبالغ في وصف جريمة الرجل دون الفتاة ؛ على ان قليلاً من الامعان يكفي المتامل في الحوادث التي تمر أمامه من هذا

القبيل ان يرى ان مصيبة الفتاة بسقوطها هائلة تؤدي بنفسها الى الهلاك فتصير طريدة شريفة تحمل أنواع البؤس والشقاء ، فضلاً عن انها تصير سماً زعافاً يسري في عروق الهيئة الاجتماعية . أما الرجل فانه كما ذكرنا لا يناله شيء من الضرر مع انه جان على المرأة والمجتمع الانساني في وقت معاً ليست الحالة تتوقف على خداع شاب لفتاة بل هنالك قطع من سفلة الاغنياء يساعدهم على تحقيق أمانهم قومهم وتجار الرقيق سواء ... ان الفضيلة تعذب لضياح العفاف ، والانسانية تتألم لأن الكمال يفر مدبراً أمام جيوش الفساد التي تزداد انتشاراً . فيا ليت السماء تخطر صواعقها على هؤلاء الناس الذين يفوضون دعائم الفضيلة ويهدمون أركان العمران والرفق الادبي . ولكن مضى زمن الصواعق والمعجزات . فيا أصحاب الشرائع ويا أيها الحكماء تعالوا وانذبوا هذا العصر الذي يدعونه بعصر الماديات فان حالتنا تستدعي الندب والبكاء . ولعل تلك الدموع تغسل شرورنا وتطهر آثامنا ...

... لقد تعب فلاسفة الاخلاق فكتبوا المقالات ، وألقوا الكتب وألقوا الخطب ضمنوها نصحاً خالصاً وحقاً على الكمال ، ولكنني أرى انها لا تؤثر الا في من كانت نفسه في استعداد لقبولها . فان من فسدت أخلاقه ومات ضميره تمدّر علينا ارجاعه الى السبيل المستقيم بكلمات عذبة رقيقة . والله در سليمان الحكيم حيث قال « ان من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً ؛ ومن يندر شريراً يكسب عيباً » . ومثل هؤلاء قد اجتمعت فيهم الصفتان وانبعثت فيهم روح الاستهزاء ، وامتزجت في

نفوسهم روح الشرّ ، فلا يرجى اصلاحهم بالنصح والارشاد . وقد خطرت
على الناكلة لشكسبير نابغة الانكليز وشاعرهم قال « دع المشرّد يقترف
الجنايات كل يوم ، ويتوغل في شروره صباح مساء ، دعه ولا تنصحه الى
يوم قريب يسقط فيه الى الهاوية على عنقه ، فالقانون له بالمرصاد ولا
تفوته الفرص ، وهو يستطيع ان يريه ويقوم أخلاقه فان مادة أو مادتين
في القانون تقوم مقام عشرين من ألفاظك العذبة الرقيقة » نعم يجب ان
يكون القانون واقفاً بالمرصاد للمجرمين الاشرار . وهو أعظم رادع يقف
في سبيل هؤلاء الفاسقين ، ولو جاء فيه بند يقضي بعقوبة من يخدع الفتاة
ويجرّها الى الهلاك سواء كانت بالغة سن الرشد أو لا خلفت وطأة
هذه المصيبة شيئاً عن الهيئة الاجتماعية . واذا عدّ حكم قدماء المصريين
بقتل الزاني وقطع أنف الزانية في منتهى القساوة فان التجاوز عن تلك
الجريمة يعدّ منتهى التساهل الذي يكون سبباً لانتشار الفساد في الاخلاق
وعلةً لخراب العمران

فبيب . م . ايليا

أمثال وأقوال^(١)

- القلم شجرة ، ثمرها المعاني ؛ والفكر بحر ، ثلوه الحكمة . (عبد الحميد بن يحيى)
- الرجل القليل العلم ينمو نموّ الثور : يزداد لحمه لا عقله

(١) من كتاب « أمثال الشرق والغرب » الذي جاء الكلام عنه في « ثمرات المطابع » من الجزء الفأنت